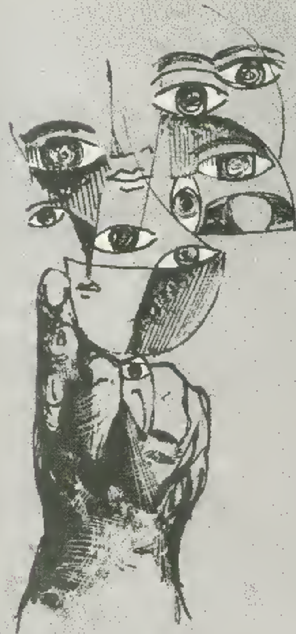
خالد حبيب الراوي

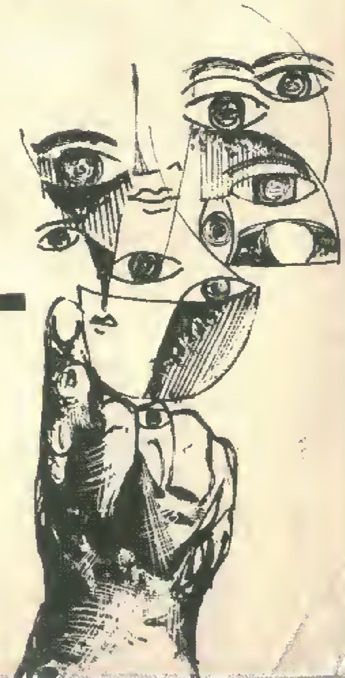




قصص

القناع

١٠٠ فلس



القنـــاع

القناع

قصص

خالد حبيب الراوي

مطبعة الشعب ـ بغداد
١٩٧٠

الحدقـة :
خرائط الرمل

في الطريق الصاعدة ، والمنخسفة في امتدادها . كـــانت الاقدام تحدث وبشيء من الرهبة فواصل متعددة وحادة .

ـ اية ساعة مخيفة تلك التي تثب فيهامقررا ،بجراة نهائية، حياتك . في هذا الزمن الذي فقد فيه الناس جراة التصـــدي لضربة غامضـــة .

انه ذلك النور الصاعق الذي يتفجر في بقاع موحشـــــة ، ومتباعدة في العالم ، يلوح جاذبا اقداما ، حـــذرة ، تغيـــب في مجهولات حقيقية .

احدى قواعد القتال :

جدارك في انسحاب المواجهة هو الرصاص
والاغصت في الارض

الاقدام تسير متوازية . متباعدة . رجـال يتقوسـون على نقطة متحركة . النقطة المتحركة تتوضح متذبذبة ، بين الحجـارة والارض الحصوية . تدخل النقطة في الفوهات تماما . وتصبـح خطوطا ساكنة . متقاطعة قليلا .

ومن الجهـة المقابلة ترتعش قدمان وتثنيان على الارض متملدتين . وصرخة تعدو مع الاقدام القافزة ، المبتعدة .

(ـ ايها السادة لا تغتبطوا كثيرا لاننا قتلنا اثنين . فقد قتل لنا رفيق) .

تقرير الى القيادة العسكريـة

قتلنا اثنين وفقـدنا رفيقـا

لم نستطع سحبه

اطبقت الوجوه اجنحة افواهها في القاعدة . وكانت الجثـة الغائبة تزحم بينهم فتكمشهم فاسـحين لهـا اقصى وسع .

ـ كان واجبا سحبها .

(العائدون قدموا تبريرهم)

انوثق الافراد ، متوحدين ، بالجثة البعيدة

(كنت اصرخ بالسائق مرعوبا ـ قف . احسست برجفـة

مسننة وانا ابصر رجلا شاهق الطول يسير ببطء امـام السيارة غير آبه واخر يشبهه يقف على جانب الطريق يراقب المسافة بين السيارة والرجل دون حركة في الطريق الحاد المربوط باعلـى الجبال الموصلة الى عمان .

اختفى الرجل ومضت السـيـارة في ليل يعمق ظلامه . وايقنت انني نجوت من موت حقيقي) .

دخلت الجثة في جمجمتي وكنت ارقبها بالم طفيف .

ـ لا يجدي الحزن .

ومع ذلك كنت ارتب خطة لسحب الجثة . وكان الجميع بالتاكيد يرتبون خططا مماثلة .

(كنت ممددا والرفاق يبتعدون . يتقدم الاعداء . ينقبون في جيوبي وياخذون اوراقي . يحيطونني بدائرة مـن الالغام . ثم يربطون جسدي بها . وينسحبون . ثم يعود الرفاق . وعندما يرفعوني . يتناثرون في الهواء) .

صدمني صوت

ـ سيجعلونه فخا لنا .. كمـا فعلوا دائمـا بالقتلـى

ـ لن يصيد الفخ هذه المرة . لكن . ترى هل نتركـه ؟

اجاب بحزم

— نعم

قــــراءة

الدم يبعث النفور . ليس لدى البشر
استعداد الابصار لمزيد منه

(اصرخ عاليا . فعندما ترفع البندقيـــة لتكون حرا لن تخشى السفاكين . واذا كنـــت حرا لـن تضطر الـى القتل او الفرار . لكن تلك الحفنة من سفاكى العالم تابى ترك البشـــر يعيشون فى مسراتهم الصغيرة) .

— اعتقد اننا نستطيع رؤية الجثة من هنا ، بالمنظار .

— ربما .

تناول المنظار المعلق على الحائط وتسلل خارجا . وعـاد بعد دقيقة هامسا باكتشافه .

— لقد ابصرتها . تعال .

نهضت وتبعته . ناولنى المنظار واشار الى الاتجـــاه .

اكتسحت الارض الممتدة . وتثبت بالزاوية المنفرجة لخطـــى العدسة المتقاطعين جسد صغير للغاية ، مموه لا تبدو ملامحه ، تعلقت ايد متعددة بالمنظـار

— دعنـــا نرى .

وكان الرفاق يرفعون ايديهم .

قدمت المنظار . ونظرت فى الاتجاه بعينى المجردتين فلـم احدد شـيئا .

استمر الرفاق يراقبون الجثـــة البعيدة .

وعاد الدور الى مجددا فى الرؤية . كانت الجثة ملتحمة تماما بالارض .

ابعدت المنظار .

واختلطت طيور كثيرة برزت من الجهة الغربية بالمطـــر الكثيـــف .

انقسامات الزاوية

انتهى السيد م الى اتخاذ قراره الاخير .

اتصل بالفتيات الخمس التي له علاقة بهن وحدد لهن كل واحدة ، موعدا متفقا في شقته .

دخلن كلهن . واجلسهن واحدة بجانب الاخرى . وجلس امامهن .

اضطربت الفتيات واخذن يتأملن بعضهن . وطلبت عيونهن استفسارا من السيد م .

قال السيد م .

ـ انتبهن .

تفصيلات

ابتدا السيد م برواية علاقاته بكل واحدة منهن وذكر جميع الاحداث التي حصلت معهن . هذه الاحداث لا تعنينا كثيرا

واضاف بحزم بارد

ـ والان استمعن . ساسافر

توترن جميعهن بتأهب . لكنهن بقين رابضات ازاء السيد م الذي كان يضع ساقه اليمنى فوق الساق اليسرى .

(بحار . مدن ضاجة . طائرات تنتشر في ضوءالشمس. جبال مثلوجة . زوارق في انهار افريقيا . طرق مستقيمة . اشجار مزهرة . نساء لا يحصين . عالم يتجدد بلا توقف)

اكد السيد م

ـ رغم وسع العالم فانه صغير لا يحتويني . انني اطلب عالما اشمل ، لا يحد .

نهضت فتاة نحيفة واشارت تجاهه

ـ لقد خدعتنا نحن الخمسة سوية . والان تهربه .

: (عربة تنطلق بسرعة نهائية وانا راقد فيها . انظر الى العالم يتقدم بكافة حركاته واضاءاته وظواهره من شباكي ثم ينطفيء وتمرق العربة في فراغ مهجور . اصحح اتجاهها فتعود الى

العـــــالم)

رمق السيد م الفتاة الواقفة

((لقد انتهى زمن الامتلاك . الانسان يسعى لان يملـــك نفسه وحدها . كافة الاشياء لكافة الناس دون احتكـــار ودون امتلاك ايضا))

قال لهـــا

ـ اجلسي . سننتهي الى اجساد مجردة اذا امتلكنا بعضنا. انني اسمع كل ذرة في بقاع العالم تناديني ، واخشى ان ينتهي زمني دون ان اتحرك .

انبرت النحيفة مجـددا

ـ ساجيء معك

ولاحقتها الاخريات

ـ نحن على استعداد لمرافقتك :

: (لكي نولد دائما ومجددا ينبغي المضي وحـــدنا فلا فائدة من الكشوفات اذا كان هناك من يراقب) .

قال السيد م

ـ لن آخذ واحـدة منكن

اشتركـن خمسـتهن فجاة في البكاء فلم تعد هناك فائـــدة

من التظاهر بكتمه امـــام تصميمه ومنظر حقيبتــه الصغيرة المهيـــأة .

ـ لن انهركـن في اللحظة الاخيرة . سيسوى كل شيء . واتمنى ان تخلقـن لكـن حياة سعيدة .

رفع السيد م حقيبته ثم نظر الى ساعته

ـ بعد نصف ساعة ستقلع الطائـرة .

نهضت الفتاة النحيفة

ـ لن ندعك ترحل . اننا نمنعك .

ازاحها بحقيبته لكـن الاخريات وضعـن ظهورهن علـى الباب . قالت النحيفة

ـ لن تسافر . سنضعك تحت رقابتنا

قال السيد م للفتيات الاربع

ـ دعوني امر .

ازددن التصاقا بالباب .

نظر اليهن ثم عاد الى كرسيه . اسند حقيبته على طرف المقعـــد

ـ لنتفق اذن . هيـــا اجلس .

اتخذت الفتيات موضعهن السابق امامه

اشار بهدوء كامل

ــ ماذا تردن بالضبط ؟

رمقت الفتيات بعضهن بتردد وتأهبت كل واحدة للبدء في الحديث .

اختطف السيد م حقيبته وقفز بسرعة غير مميزة الى الباب . اداره ورنت خطواته وهي تبتعد .

كان السيد م يركض صوب المطار وهو قلق لتأخره وشاكا بان الطائرة قد اقلعت .

انتظارات

اعتقلوني آخر مرة في حياتي وانا في الرابعة عشرة من عمري.

وضعوني بينهم في العربة الخضراء المحدبة ، واسلموني الى ضابط عجوز .

تفحصني ثم اسقط عينيه في ملف به اوراق قليلة .

قال لي : تهمتك خطيرة .

اراد ان يكتسحني بكلماته . لم اجبه ، فانا أعرف خريطة المحققين هذه .

ــ ماذا تخبيء خلف جلدك .. هيا .. اخلعه ، ودعنا نرى.

وضعت يدي في جيوبي وتفحصته .

أتم في مودة مباغتة

— سنسير قليلا في مسافة جلدك والداخل .. نتنزه .

— تنزه بعيدا عني ايها السافل

(في الحقيقة لم اقل له — سافل — بوضوح)

— ليس من حقك ان ترفض : فهي رغبتي .

— اطلب منك ان تطلق سراحي فورا .

— اتريد ان تكون حرا .

— (————)

— اخرج فانت حر

استدرت الى الباب وفتحته ، فتشــــرعت حرية توسطت التجـــويف .

— انها مسمومة ، اذا لامستك ، لن ينفعك حتى الله ..

اقفلت الباب وعدت الى وجهه .

سألني

— لماذا لا تخرج .. اتخشى ازاحة الحرية كي لا تموت ؟

فكرت بلمر — ربما — .

— ستحب هذا المكان وتعتاد عليه .. المطلوب ان تفكـــر قليلا وستصل الى نتائج مبهجة تملأ بها ايامك ..

— الا تعتقد ان لعبتك هذه مملة ؟

— استيقظ فانت اسير .

اغلقت عيني واذني ، وانزلت راسي من قمة جســــدي ووضعته بين ثيابي ..

نهض من خلف مكتبه وانتزع راسي من كفي الواهنتيــــن واعاده الى الرقبة .

— ستموت وحدك ويبقى العالم .. ملايين قبلك ماتوا وظل العالم يتكون . هل تنتظر ان تكون انت مصير العالم: هيا اخرج: احمل العالم بين ذراعيك ، دعه يكون جسدك ..

قرع الجرس فانفتح الباب ..

اشار الى التجويف المملوء بالنور الصناعي .

: الحرية اختفت

استدرت وقذفت خطواتي السريعة في الرواق .

استقبلني رجل جالس في نهاية الممر

— ايــن تذهب ؟

— ليس هذا من شأنك .

— لابد ان اعرف .

— لقد طردني الضابط وقال اذهب فانت حر . .

— انك مجنون .. لا يوجد هنا ضباط ..

- الضابط الجالس في تلك الغرفة ؟

- انك مجنون فعلا .. لقد مكثنا بانتظارك .. هيــــا ادخل هذه الغرفة ..

دفعني الى غرفة بيضاء نقية مغسولة ناصعة .

- افتح عينيك على سعتهما ، وانظر الي ..

ملأ بندقيته بالرصاص .. واخــذ يطلق علي النـــار ..

سقطت اخيرا على الارض البيضاء قتيلا .. ولم تخرج مــــن جســـدي قطرة دم .

ميــــــاه

الاشياء سوداء في الليل .. العالم اســـود .. الفجر اســـود .. الرجال .. النهر ..

حملت خطوتها الاجســـاد التي هرعت متسللة ، واحد اثر الاخر ، .. وكانت القاعدة فوهة سوداء مضببة ..

انا الراصد : هذه مهمتي ..

الاثنان اللذان يسرعان في الامام سيتوليان تنفيذ المهمة ..

والاثنان اللذان يتبعانهما يتوليان الحماية ..

خضنا النهر النحيف الضحل : نفذ الماء البارد الى عظامي واحسست برعشة ، ثم ارتجفت في الهواء الاسود ..

تخطينا الجرف الطيني وتموجت تحت اقــدامنا اعشاب

ســــوداء ..

الساعة هي الخامسة صباحا ..

(اخبر زميلى فى الرصد ان الجنود الاعداء يكمنون فـــى ذلك الموقع فى الساعة السادسة صباحا .. راقبهم عدة ايـــام وتاكد من الوقت بدقة : كانت خطتنا : الاختباء فى مواقعهـــم والقبض عليهم)

ـ سنختطفهم ونفيد من معلوماتهم ..

: اذا لم تكشف مواقع عدوك فلن تستطيع القضاء عليـــه

توقفت ومضى الرجال فى الضباب والظلمة ولم اعد اميزهم بســـــهولة .

(كانت خطواتنا تتسق سريعة في شارع مهجور ..

قلت لها : الست حبيبتي .. دعيني اقبلك .. قالت دون ان تاوي رأسها نحوي : لن ادعك ..

.. قلت لها : ساقبلك بالعنف ..

نفت : لن تستطيع ذلك .. لا يستطيع الطرف الواحـــد فرض ارادته على الطرف الاخر

(دكاكين مضاءة بانوار باهرة ..

(نساء تصف عاريات في بيروت .. يسرعـــن

(رجال ينامون في البرد .. ورجال ينامونفى دفء المدينة)

لم اعد ابصر الرفاق .. كان الهواء الاسود المثلج يصفـــر بين الاعشاب النحيلة .. رفعت قدمي اليمنى على صخرة مراقبا ظلمة واسعة لا نهائية ..

انزلق فجاة رصاص سريع متتابع ..

: رشاشات ..

توتر جسدي واصبح مركزا في قبضتي يدي ..

لم ابصر شيئا ..

(رجال يتحركون فى مقر القيـــادة .. يشرحون التعليمات بهدوء وبطء وحميمية .. رجال يتقاطعون وهـــم يعبرون . مدنمدن : شوارع .. اعمدة ضوء فى شوارع خالية)

ضباب وجنود في الناحية الاخرى .

: ارجو ان تنجح عمليتنا ..

تفوق انفجار خاطف على الرصاص ..

مدفعنا .. انه مدفع الحماية

وعاد انفجار المدفع مكررا ..

(الموت والعبودية سواء .. ماذا سنفقد فى حياة منتهبة . قد ننتصر فنملك شيئا وقد نموت ولن نفقد شيئا لاننا لم نكـــن

نملك شـــيئا)

(دم بعيد غير مبصر .. كنت بعيدا لا اعرف هل سيعودون
ام ستبقى جثثهم مدماة مرمية لا احد يجرا على الاقتراب منها)

توقف الرصاص

كنت عصبيا متوترا .. الظلام كامل امامي وخلفي حفـــرة النهر .. جلست على الارض ..

وكانت حرارة هائجة تغمر جسدي وانا انتظر ..

: سيجيئون جميعا .. سنشرب الشاي وندخن وننـــام قليـــــلا ..

: انهما الحمايـــة

: اثنان فقط . اين الاخران ؟

ـ هيـــا

صـــاح بي اولهما

ـ اســـرع ..

ركضت بجانبه صوب النهر ..

ـ اين همـــا

كان يحتضن مدفعه الثقيل ويركض

صرخـــت بـــه

ـ اين همـــا

ـ سقطـــا هنـــاك

ارتعشت في برودة الماء ..

كنا نركض نحو القاعدة السرية وخلفنا رجل الحماية الاخر .

ـ هل تاكدت من موتهمـــا ؟

انزلقنا في فوهة القاعدة . وهب الرفاق الستة من اسرتهم الارضية وهتفوا مستفسرين

ـ اين (... ابو علي ومحمد)

ـ هنـــاك

غيبتنا الظلمة في الصمت ..

كان المدفع بين يديه وهو جالس على الارض .. سحبتـــه منه واسندته على الحـــائط ..

ـ تكلم .. كيف ، كيـــف ؟

ـ عندما وصلنا الى الكمين .. فتحوا النار علينا من مكمنين خفيين .. فصوبنا باسلحتنا الخفيفة .. وكان بحوزة (سليمان) المدفع المضـــاد للدروع ..

صرخت بـــه : اضرب

كان نائما فوق مدفعه متجمدا ..

نـاداه (محمد وابو علي) : أضرب
لم يتحـــرك ..
صرخـا به : قتلتنا .. قتلتنا ..
زحفت اليه ودفعته . اخذت المدفع وصوبته الى اول كمين
فانهيت ناره .. وصوبته الى الثاني
كانت نار (محمد وابو علي) قد توقفـت
صحت : محمد .. ابو علي ..
وسمعت همسة بطيئة : لقد قتلنـــا ..
وكانت النار المقابلة تنزل وتغيب في زبد الجسدين الممددين
وتتحول علينـــا
هتفت (بسليمان) وكان لا يزال متحشرجا على الارض
هيـــا ننســـحب ..
زحفنا لننجو .. ولم نستطع سحب الجثتين لأن نجــدات
للعـــدو بدات تصل ..
: لو ضرب من البداية لكنا قضينا عليهم .. لا ادري لماذا
جبن مع انه اشترك في عمليات ناجحة سابقا .
دخل سليمان واختفى في نهاية المغارة ..
ــ ســـــيحاسب ..

وانصت الى الهواء الاسود وهو يعبر مصفرا خارج فوهـة القاعـــدة ..
وفي الصباح حدقت خارج الكهف ..
كانت الارض المنبسطة المسطحة حادة واضحة .. والبرتقال الاصفر يشع من بين الاوراق الخضراء الكثيفة في الوادي .. وعبر النهر .. كانت الارض بعيدة وجرداء يرتفع فيها جبل .. وكانت سيارة منخفضة لكسح الالغام تنهب سريعة مثيرة خلفها خيطـــا ترابيا ابيض ..

الخـــوذة

حرك الهواء الباب الخشبي ودفعه بعنف فدوى وهوينغلق. ارتج الزجاج الخشن الضخم الذي يفصل بين الغرفتين . وتذبذب الظهر الاخضر خلف الزجاج ثم سكن .

الاوراق البيضاء المستطيلة فوق المنضدة . وفتحة الهـواء في السقف تقذف ، من جهات سرية ، عواءات غامضة . وعشـــرة عيون تصمد من رقبتي الى ذقني وصدري .

في الطابق الثالث ، كانت غرف ايامنا الصباحية تمتـــد الواحدة في الاخرى .. مملوءة برجال ونساء . كانوا يتلامســـون بالغناء والرقص والحزن ثم يذهبون الى بيوتهم ظهرا ليعودوا في صباح اليوم التالي .

ـ بالامس اشتريت قماشـا .

تذبذب الاخر خلف الزجاج والتوى جسده على المنضـــدة الغامضـــة .

وتحرك جسد آخر من الزاوية وصار بجانب الظهر المتموج على الزجاج . انحنى ثم انسحب بعيـــدا واختفى . وقعـت الاوراق المتراكمة دون اهتمام .. فقدوقعت آلاف الاوراق هنا ، في هذه الغرفة ، من قبل . وستاتي آلاف غيرها. فواجبي ان اكتب واكتب . ثم يأخذون الاوراق مني .

وكانت رؤوس عديدة تمتد فوق منضدتي وهي تهمس

ـ كثف قوتك . يجب ان تملأ الاوراق .

امسكت بأحد الرؤوس

ـ يجب ان افرغ يوما من هذه الاوراق .

ـ عليك الا تفرغ منها

ـ سأمزقها وانثرها مغطيا بها المدينة .

تداخلت خلف الزجاج اجساد سرية عـــديدة ، متحركة ، لتوضح ثم تغيـــب .

وتعود سريعة في فتحة الضوء المتوهج في زاوية الزجـــاج المضلع الخشـــن .

جمعت الاوراق البيضاء ووضعها امـامي ورفعت عيني الى عشرات الاذرع المشعرة .

كان رسغي يلتهب فوق المنضدة .

: خارجنا يتساوى البشر . كلهم متشابهون .

ارتفعت ذراع مبهمة فى الغرفة الاخرى وامتدت. وضوضوت الاصـــوات

ـ الشـــاي

ـ الســـرير

ـ الحصـــان

ـ دينـــار

ـ التلفـون

ـ الحـــب

العـرق يغطـي جمجمتي . نهضـت لأفـر . وفكـرت .

سيمنعنى الحارس من الخروج لأن الدوام لم ينته . وسيقول :

اذا كان لا بد لي ان اخرج فعلي الا اعود ابدا .

انسحب شبح في الزجاج وامسك بقبضة الباب وفتحه فاتصلت الغرفتان وامتزجت الاصوات .

جلس الرأس الجميل بجانبي

ـ مـــاذا ستفعل

ـ ســـافر

مدت اصابعها النحيلـة الطويلة كأفاع قصـيرة وطوقت رقبتي . نزعتها بعنف وطردتها من الغرفة ؟ وانتبهت الى عواءات الفتحة الهوائية . وحين اغلق الباب . امتزجت الاجساد المبهمة مرة اخرى فى حركات متقاطعة. تلتحم وتنفك . ثم تلاشت جميعا.

الطيور ، العشب الازرق

انتزعت اغفاءتي المتنبهة في الصورة الصغيرة لـ ن . . وشعرت بعيني ف تتوقدان بتركيز فى راسى . . طويت الصورة ، وبرفق دسستها فى جيبى . . قالت :

ارني ذلك الشيء الذي اخفيته ؟

مسست ذراعها وحدقت فى عينيها ، برقة :

ــ انها ورقة خاصة . . لا تهمك ابدا . .

ــ ف شريرة ودمائتها تجاهك زائفة . صدقني. لستغيرى.

ف ما زالت تتفحصني

اتمت ن بدون ضجة : ثق .

امحت ن عندما شدتني ف : انك الرجل الذي اصنعه كل ليلة

سكتت ف .

: منذ مدة فقدت قدرة التميز والانحسار نحو فتاة واحدة . . الفتيات تساوين لدي عندما فقدت الحب . واضحت الواحدة محطة تنتهي اثرا عندما اتركها . .

هاتان الفتاتان تريدانى

تزججت ف فاخترقتها نظراتي

نهضت الفتاتان في الساحة الترابية الخالية . كنت اجلس على الحافة ارقبهما . . اقتربتا . ووضعت كل منهما يدها فى شعر الاخرى واشتعل الصراع بينهما . تخدش وجهاهما والتفت على الاصابع خصلات من الشعر . . ثم اقتلعت ن العين اليمنى لـ ف ، وتركتها تسقط على التراب الاحمر .

حدقت بعين ف وفكرت : اللعبة تجاوزت الطرافة صحت بهن: كفى . كفى .

اتكأت ف على المنضدة امامي . . وكانت عيناها سليمتين . . وتحسست صورة ن فى جيبي . الشقيتان : تبا لهما .

ــ ينبغي ان تتزوجني ، فقد انقطع الطمث . انني حامل .

: حامل !

: ماذا يعنيني حملها . ربما كنت السبب في حدوثه ، لكن

لن اتحمل نتائجه .

مسست الصورة في جيبي .

ن ايضا حملت . لكنها خبأته ورحلت به . لم تقل لي مسد بدك والمسه وتأكد منه ثم التصق به . كانت تدرك ان الطرف الاول يجب الا يزعج الطرف الثاني . لم اقل لـ ف ذلك . فلا اريد اولا كشف علاقتي بـ ن . ثم لانها تحمل جنينها بخوف .

ـ سيجيء واحد ، ان لم تتزوجني ، ذات يوم ، ويرفع ثوبي . سيصرخ به الجنين .

حدقت بالرقبة اللزجة والسكين تدخل في القصبة الهوائية مفتحة الجلد الرطب عميقا. وخيط رفيع احمريلتمع ازاء النصل.

ـ ف لن يقتلك احد . فالنساء يستطعن اخفاء اشيائهن

ـ انك تتخلص مني .

الماضي هنا هو الحاضر والمستقبل : شيء مخيف أن يكون حاضرنا ومستقبلنا ماضيا .

: الى الابد تنتهي الحركة السابقة ولا اريد ان الصق فيها .

انني اعرفك الان وعلاقتي الماضية انتهت .

: ن في حقل للرز في الصين تحمل بطنها المتورم . ن في كوبا تعبر اعواد القصب وبطنها منتفخة . ن تحملمكنسةتنظف درج

فندق في الولايات المتحدة وهي منحنية على بطنها .. ن تتقي المطر الاستوائي وامامها عشرات الزنوج العراة يقفزون فوق اشجار افريقيا .. انهامشغولة بهفي نهار العالم وليله .. واناسنفصلعنها.

ـ انفصلي يا ف . وافعلي ما شئت بجنينك .

سحبت ف آلة حادة صغيرة ,وارادت ادخالها بين اضلاعي امسكت رسغها واسقطت سكينتها ..

التوت فوق المنضدة وهي تبكي .

دخلت ن الغرفةوسحبت ف من كتفهابعنف وغيبتها خارجا.

مسست الصورة . وكانت ف تبكي .

ـ ساعود ثانية لنتفق . لن تتخلى عني . قل لي لـــن تتخلى عني .

ـ اتركيني وشاني .

ـ لن تتخلى عني .

وانصرفت ببطء ملوحة بكلماتها .

نهضت في الغرفة الرمادية عابرا رياشا صغر .. وامسكت بالتلفون المرن ..

ـ انــا ب .

ـ عرفتـــك .

ـ انني وحيدة . هل تاتى الي ؟

ـ انتظريني .

علقت التلفون . وارتديت معطفي . ثم اغلقت الباب ومضيته ..

القارب

: التاريخ طبقات من تراب متراكم .

اشتغلت بحمية فى الحفر والتنقيب . اخترت تلة مغطاة بالقحوف الطينية الجافة المكسورة : انها علامات الحضارة .

ـ الوجوه تكشف سرها ، والاشياء تنفذ اليها وتزن ثقلها فتسقط جميعها امامك ، وتبقى وحيدا شامخا .

اشار مساعدي وهو من اهالي المنطقة

ـ لنحفر ثقبا فى هذا المكان .

رفعنا معولينا وابتدانا الضرب . تجمعت كومة من التراب الصلب . انحنى مساعدي ونقلها .

قلت له

- لقـد حفرنا مئة سنة .

ضحك ببلاهة ، وانتشى بضحكته فلوى معوله برفاه .

قلـت :

- مئة سنة . مات فيها ملايين من البشر ، وولدت ملايين جديدة . وفي يدي حفنة من تراب . يا للمعادلة !!.

كنا منحنيين عرقين والقرية التي جئت منها بهذا الرجل منسرحة بعيـدا

- ستدفع لي اجرتي كل يوم .

- سـأدفع .

- شيء ممتع ان تثقب الارض فقط لتحصل على المال .

حدجته بغضب فكف وجهه المتغضن عن الحركة .

: يتساوى هؤلاء كلهم ، وما عليك الا ان تراقبهم وهم يرفعون معاولهم .

اصبح الثقب عميقا اسود . رفعت سلة التراب ورميتها فوق التلة الجديدة الصغيرة وناديت المساعد . خرج من الثقب ، فقلت :

- سننصب الخيمة ثم يمكنك الذهاب .

: انه يبتهج اذ يلمس النقود ويسمع صوتها .

استدار المساعد ومضى نازلا . كنت اراقبه الى ان اختفى في القريـة .

اوقدت المصباح ورقدت على الفراش النحيف .

- اتوحد الان مع التاريخ . انا متحرك وهو متحرك في سكونه معـي .

: كل شيء يهرب الى الظلام يتوحد فيه ، ما عدا يـدي الملتمعتـين

امسكت المصباح وخرجت الى الثقب . دليت النور فضاءت الحافات المعتمة .

عدت بالمعول . ثم هبطت الى القاع .

- امامي الظلام بكـامله .

كنت واعيا بحـدة .

وكنت اغرز بفرح ذلك التراب الذي تبلل وراح يتفتح بمعولي .

رفعت سلالا كثيرة . ثم رن المعول . ازلت التراب ولمست صخـرة .

- وصلت الى موضع مـا .

صعدت الى السطح وتنفست هواء باردا ثم شددت المعول وعلقت النور على خشبة غرزتها في جانب الثقب . كانت الصخرة

تـــرن .

هويت عليها بعنف . انزلقت الصخرة . وكنت منثنيا خلفها

منسحبا في الظلمة .

كانت يداي مملوءتين بالتراب . نفضتهما ولمست جسدي.

ثم نظرت الى السقف . المصباح يحيط الحافة العليا بنـــــو

اشقر غامض .

اخذت اتلمس الارض بجانبي . زحفت الى اليسار وتصلبت

حافة سلم تحت يدي . استدرت وانزلت قدمي الاولى بحرص

وضغطت على الدرجة . كانت صلبة فانزلت القدم الاخرى .

هبطت درجات كثيرة وانتهى السلم الى ممر . الهواء ثقيل

عطـــن .

ـ ستصيبني هذه القناة من الهواء الفاسد .

مددت يدي لافتح طريقا في الهواء الثقيل . ارتطمت بجدار

رجعت فوجدت ممرا جديدا فدخلته .

اشتد ثقل الهواء . وتحول الى قبضات تعصر رئتي .

ـ ينبغي ان اعود الى الفوهة .

كنت اتخبط في الممرات .

ـ ساموت قبل خمسة الاف سنة .

انغرزت في التراب البارد .

ـ لن اجد الطريق . عسى ان يعود المساعدمبكرا ليعثرعلي.

وكان الهواء احزمة معدنية تشد وتضيق على جسدي .

الســاعة تقف على الصفـــــــر

ـ هل انت عضـــو ؟

ـ كـــلا .

ـ هل لديك اوراق تثبت انتماءك لهذا النادى ؟

ـ ليست لدي اوراق على الاطلاق :

سوى البواب بزته الرسمية واشار بسبابته

ـ اتبع هذا الطريق وستصل الى الجحيم .

ودفع الباب بقــدمه ليقفله . منعت ذلـك بقدمي . نفـد صبره فقـــال :

ـ الم اعلـن . لا حق لك بالدخول . ماذا تريد ؟

ـ انا مواطن . سمعت ان النادى مكان جميل فدعني ادخل.

ـ يا بني انتبه . ينبغي ان تنتمى لتحصل على امتيـــازات المشاركة في الاشياء . خذ هذه الورقة اقرا الشروط ثم قدم طلبا يوافق عليه الاعضاء . وسأرفع يدى لك بالتحية عندما تجىء .

امسكت بالورقة فاقفل الباب .

طـــرنق !

انفتح باب سيارة ونزلت منها ثلاث فتيات مرفهـــات . تقدمت منهن مبتسما وحييتهن . تنحين بـــازدراء فمرقت الـــى الشـــــارع .

ـ انني صامت في مواجهتهن . واذا ما تكلمت سأجعلهـــن يحضرن الى غرفتي ، عاريات ، يهرعن الي من بيوتهن البعيدة .

الشمس تعكس القير الاسود واقدامي تغوص خفيفة فيه . وجسدي ينفرد ارجا بالعرق الكثيف .

ـ السيارات تقف امام النادى . ينزل الاعضاء ثم يدخلون فى قنوات الاضواء الشفافة .

امتلأ جلد الحذاء بالقير واخذت اقتلع خطواتى .

: لا اطيق ان ارى فتاة تحب رجلا غيرى . اننى اكرهها. وشرطي ان تلحق بى جميعهن .

فحصت ورقة النادى .

ـ يا لشروطهم القذرة .

اسقطت الورقة .

وعند مفترق الطرقات في نهاية المدينة خرج جندي مـــن الكوخ الخشبي .

ـ تعال . ايـن تمضي ؟

ـ لا ادرى .

ـ هذه الطرق تؤدي الى الخارج . ارني جواز سفرك .

ـ لا املكه .

ـ ادخل هذه الغرفة . ستمر الدورية فتأخذك للتحقيق

ـ هءاه . هءاه .

الخيول تركض والفرســـان يضحكون

كانوا يتقاطرون : من الواحات ، وضفاف الفرات ، والقرى الصحراوية .

لوريات مملوءة بالبدو والفلاحين والتجار والمهربين تزحـف الى المدينة : تطلع من رمل الصحراء المحيطة بها .

الفتـر البيض والحمر والزرق تنسدل مـن الروءوس على الظهور ، والبنادق على الاكتـاف .

الخيام طويت . والجمال المضيئة تزحف .

كـانوا كثيرين . وجوههم شاحبة متوترة . ينطـوون في الظـــلام .

ـ ثمـة امر مبيت وخطيـر

اندلع الكـــلام بين عدة رجـال يحتلون سطح مقهى .

ــ الجميع بالانـــذار .

نهضوا وتفرقوا في الطرقات . وانطووا مع الغتر البيـض والحمـــر والزرق .

ــ ٢ ــ

مكبرات الصوت تغمر المدينـة بالصوت المتســـق الذي يهوي من المآذن الثلاث .

ايها المؤمنون . هل ترضون لله ان يسقط .

البنادق بجانب الاجساد المتربة علـــى الارض والممتـدة كالامـــواج في الباحـة الضخمة .

ارتفعت الروءوس الى القاضي مفتوحة الكفين ، منفرجـــة الى الاعلى .

ــ من يقتل يدخـــل الجنـة

تطلعت الامواج وارتطمت الوجوه الغريبة بالاف غيرها .

الايدى تشد البنادق والخناجر .

صرخة القاضي جمعتهم من قراهم البعيدة : وها هـــو يختتم خطبته ويترك المنبر فتنفرج الامواج ويتقـدم هو بينها .

خلع عمامته على باب الجامع ونشرها على كتفيه .

تحفزت الامواج . وصرخت اصوات

ــ سنعيد العمامة الى راسك .

استطالت الامواج . واختضت .

توقف القاضي . وتوقف اثرياء المدينه الكبار على جانبيـه وانتظمت الامواج خلفهم .

ــ ٣ ــ

كانت مقرات التجمع التي يمقتونهـــا في منطقة واحـدة متقاربة ممتدة في الشارع الرئيسي . وثمة مقاه صيفية بجانبهـا محتشـــدة بالكادحين .

تباحث رجال المقرات القلائل في الليلة الماضية عن الزحف الذي جاءهم من الصحـــراء .

هؤلاء الـــذين لا يملكون شيئا في هذا العالم . خدعوهـم وجاوءا بهم . اما كان الاجدر بهم ان يسحقوا الذيـــن يسلبونهم حتى اجسادهم . الفقراء يقتل بعضهم بعضا .

المقرات اقفلت ابوابها . والمقاهي تحفز فيها الرجال .

زحف القاضي وخلفه الامواج ترفع سكاكينها وبنادقها الـى السـمــاء .

التمت الروءوس على سطح المقهى تحدق بالغتـــر .

ـ انهم كثيرون . اذا وصلوا سيحطمـون المقرات ويضرمون النار فى الكتب والاثاث وسيتصيدوننا في الطرقات برصاصهم .

كان الشارع متحركا بالغتر الغزيرة .

رفع احد الواقفين فى المقهى الصيفي يده . واطلق عيـارا نـاريا . تركز القاضي والغتر .

حمل الهواء طلقيـن اخرين . ثم اربعة . ثم ستة .

ضحك رجل فى المقهى .

ـ القاضي ينقلب راكضا متدحرجا في نهاية الحشـود .

استدارت الحشود وانطوت فى الازقة وفي دروب الصحراء.

ـ ايـن بنادقهم . ايـن بنادقكم ايها الجبناء .

انمسحت الغتر والبنادق من الشارع الرئيسي . ومـن مقهى آخر فى نهاية الشارع مزقت الهواء الجاف الراكدرصاصات قليلـة .

استدار حشد صغير فارا الى الخلف .

نزل الرجال من المقاهي واتجهوا نحو الحشد الذيانحصر. كانت الغتر مبللة بالعرق والغبار متفرقة في الاتجاهات ،والايدي سقطت منها بنادقها وسكاكينها وهي تحمل ارتجافات متصلة.

المعـادلة

انقذف لسانه خارجا ، ماسحا شفته العليا .. وسـطع صوتـه :

ـ لك علاقة بزوجتي ؟

اجبتـه ـ ذكرت ذلك .

ـ اقنعنـي .

ـ طيـب .

اخرجت علبة صور كنت التقطتها بآلة توقيتية ، اعطيتهاله واخذ يفحصها ليتاكد من عدم التزوير ، ثم رفع راسه

ـ مـاذا تريد الان ؟

(: مـاذا ؟)

ـ لســـت ادري

ـ اذن لم حضرت ؟

دفع تجاهي العلبــة

ـ ضعها فى جيبك . واخرج .

: انه لا يثور . لا يثب لقتلي .. ربما سيقتل زوجته ؟

ـ ستقتلهـــا ؟

ـ لا ..

ـ اذن اخبرني عما سيحل بها .

راسه الثلجي لا يتحرك وسكونه هذا يضطهدني . لن يصرخ طير الدم في راسه ، كما يقولون .

فتحت العلبة وقلبت صوراعدة. وضعتواحدة منها امامه.

ـ انها جميلة هنا .

ـ صحيــح

ووضعت اخرى فى عينيــه

ـ وضع قبيح هنــا .

ـ ليس كثــيرا .

انه لا يتحرك . طويت الصور ونثرتها امامه . تظر اليهابرتابة

ـ ليس من رجل فى العالم لا يثور لانتهاك املاكه .

: كان يلذ لي مراقبة الاخرين في ارتباكهم ، غير ان هـــذا الرجل جاف للغاية . اخذ هو يعذبني باهماله اثاراتي ..اصبحت مضطهدا .

ـ انك تقسو علي .

قـــال

ـ وحدك تقيس الالم وتتحمل المقدار الذي يلائمك . كــل العواطف خاضعة لك ..

وتناول صحيفة وجعل يقرا باهتمام

: انــه يزداد اهمالا لي .

تحركت نحوه .. رفعت الجريدة من يديه ودفعت قبضاتي فى وجهه وراسه .

تراخى على المسند محنيا جذعه الاعلى .

قلــت لــه

ـ ارفع راســـك .

لم يجب

وخرجت ببطء شـــديد .

سهرة تحت غيوم الصباح

المشهد ..

ساحل على بحر ممتد . الساحل والبحر عاريان بصفاء . وثمة رجل مغطى جسده بالرمل وراسه منتصب تجاه البحر عكس المشاهدين ..

الرجل المغطى – تكون سعيدا ، ايها السامع ، وغيرالموجود في الوقت نفسه اذا انتبهت فجاة وابصرت نفسك وحيدا :صافيا الى ما لا نهاية .. نقياً كمجنون . ومسست المسافة التيتفصلك عن الاخرين .. واحسست بطول السنتمتر الهائل الذي يبعدك .. (صمت قصير)

ايها السامع غير المرئي .. يا من تمتلك كتلة تماثل كتلتي وتمتلك وعيا واحساسا يتصارعانني .. انت غريب عني وانا غريب عنك ولن يعرف احدنا الاخر ابدا مهما افصحنا عن افكارنا واسقطناها في مرآة الوضوح .. ومهما فتحنا ابواب قلاعنا لندخلكم منها ، فهناك ابواب سرية تظل مغلقة : شئنا ام ابينا (صمت)

اذن ، ما بقيت تلك الابواب محرمة فلن يعرف احدنا الاخر

ونبقى غرباء ايها السيد السامع ، غير المرئي (صمت) كل منا يقاتل كي لا ينتهك .. الافراح والهموم نطويها في اعماقنا ونحرسها لانها متاعنا الروحي : ايها المتاع المغن بك يقيدالانسان ويفقد حركته .. (صمت)

يدك هي القيد .. مدها الى احدهم فاذا استلمها فقد سقطتما معا .. التفصيلات هي الدوامة التي تجمع في مقرها كل اجساد الارض . الاجساد المؤهلة للنار ..

ايها السامع ، غير المرئي .. ان مؤامراتك القذرة الصغيرة التي تخلقها مع الاخرين تبقيك جسدا ، حقيرا ، معدودا برقم.. في هذا المنزل ستة .. في الشارع مئة .. في المدينة مليون .. في الدولة عشرة ملايين . اذن فرقمك قد يكون ٧ر١٠١ر٥٢٦ . (صمت)

لقد تجردت تطلعاتك وانسانيتك ووجودك واضحيت جسدا وجلدا غير مميز : الاجساد تتساوى في الظلام (صمت)

ايها السامع : نحن بعيدان .. قد نحدق ببعضنا فيمنعطف او في سيارة عامة .. لكننا سنغيب . وبينما اكون رافعا رايتي تكون انت بلا راية ، بلا تاريخ يؤهلك لان تكون مواجها لي .. ايها السامع غير المرئي : ربما اشفقت عليك حينا من الدقائق .. فهل يجدي ؟!

انك تفكر بان ظلك الذي تجره خلفك تصنعه الانواء الجوية.
ولا تفكر بانك انت الذي يصنعه .. انـــه انت وليس النوء ..
هكذا يجب ان تكون والا فلن نلتقي . (يشق نهاية البحر زورق مملوء بحشد من الاجساد .. يقترب من الرجل المغطى . يصل الى السواحل ويقفز منه رجال ونساء كثيرون يواجهون الرجـل المـــدفون) .

واحد من الحشد — ابصرنا هذا الراس النابت من الارض.
هل انت حي ايها الراس ؟

المدفون — (سكوت)

امراة — هل لك اطراف ؟

المـــدفون — (...)

امراة — لنقلعه من الارض . ربما كان له جسده

رجل — قد يكون بلا اطراف فخجل من وضعه بين الناس فجاء الى هنا ودفن نفسه ..

امراة — ربمــا ..

رجل — كنت أعرف رجلا سحقت اطرافه عربة .. ضجرت منه زوجته فحملته في حقيبة ضخمة وطوحت بهفي النهر ..ربما كانت زوجة هذا رقيقة فدفنته ليتأمل البحر قبل ان يموت .
هل تحب البحر كثيرا ؟

— ضحـــك —

— تنحني امراة وتزلق اصابعها في شعره —

المراة — انه جميل ، عيناه جميلتان وعميقتان .. ليتنـــي اعرف حيا مثله لكنت احببته . هل انت اخرس ايها الرفيـق المثبـــت .

رجل — انك تكلمين حجرا يابســا . انا اعرف هؤلاء . ان عاهاتهم تخولهم امتيازا خرافيا بايذائنا : ايها الشقي التعيس : يا حثالة افراح البشر . انني لن اشفق عليك . لكنني اخاطبك بالفة معينة وان كانت ضئيلة .. هل تريد ان تأتي معنا . لـن تثقل علينا ، واذا ضجرت فاطلب منا ان نرميـــك في البحر وســـنفعل .

المدفون — (سكوت)

الرجل — سيخلق المنا لموت انسان وحيد على ساحلبحري مهجور . هل اخترت موتك ام اجبرت عليه ؟

امراة — انـه ينظر الينـا بازدراء .. ويخيل الي انه قـــد فهمنا .. وهو يستطيع الكلام . لماذا لا يتكلم ؟

— تنحني عليه وتقرصه من شفتيه وخده —

المدفون (يصرخ) : ارفعي يدك ايتها العاهرة .

المراة — بفرح — : انه يتكلم . يتكلم

امراة ثانية ـ لنعمل على انقاذه .. سارتعب اذا كانت له رقبة فقط تحت التراب . هيا ايها الرفاق انقذوه .

(ينحني الرجال عليه)

المدفون ـ ابعدوا ايديكم الملوثة .. إبعدوها ايها الخونة . لا اريد ان تلمسوا ما يخصني .

رجل ـ لكنك تدفن نفسك ـ ستموت ببطء .

المدفون ـ ماذا يهمك من امري ..انا وضعت خصوصياتي. فلا تلمسها .. هب انك لم ترني . فهل كنت ستشفق على وتنقذني . اذا اردتم مساعدتي فدعوني وانصرفوا .

رجل ـ انا واثق من جنونه .. لننصرف .

رجل اخر ـ ما دام الامر قد كشف نهاية سيئة وما دام قد رفض معونتنا وطلب منا تركه علي حاله ؛ فلننصرف .

رجل اخر ـ هيا ايها الرفاق . ان البحر يدعونا وثمة متع عديدة فى مرافىء كثيرة تنتظر .

ـ يتحول الجميع الى المركب .. تتخلف امراة .

رجل ـ يناديها ـ هيا يا فتاة . اسرعي .

الفتاة ـ سامكث هنا .

الرجل ـ هذا شأنك . تذكري انك ستندمين فلن يعرج احد الى هذا الساحل المعزول . ستنقطعين عن حركة العالم .

الفتاة ـ وداعا .

(يشق الزورق البحر متضائلا)

الفتاة ـ تنادي الراس ـ : ما يدهشني انجذب فيه .وانت ملاتني بالدهشة : الاشياء الممكنة التفكك الى رموز تجعلني احنى راسى وادخل فيها والغي كل اللافتات المانعة والحواجزالجاهزة لصدنا عن تحقيق تقدمنا في شيء الى نهايته ..

المدفون ـ يبدو بامكاننا ان نتكلم سوية .

المراة ـ ذلك ما تدفق فى عندما شاهدتك .

المدفون ـ من هم هؤلاء الذين جئت معهم ثم مضوا .

المراة ـ انهم فتيان يعيشون بتنفسهم وعضلاتهم . اسقطوا تاريخهم وعوائلهم القديمة ومدنهم . رفضوا انتظار المستقبل . انهم يعيشون حاضرا خالدا . يعملون ما يستهويهم ويتركونه بنزق اذا ما ضجروا منه . غرباء يجمعهم الزورق . اذا ابحر كانوا فيه . واذا غرق غاصوا جميعهم . يا لها من وحدة قاسية غير اختيارية كنا نعيشها . هل انت بخير ؟

المدفون ـ طبعا .

الفتاة ـ هل وضعت نفسك بنفسك تحت التراب ؟

المدفون ـ يقينا .

الفتاة ـ لماذا ؟

المدفون — الخطأ . اعتقادهم اني ساقتل تحت التراب . فحتى في هذا لم يعرفني احد . لقد دفنت نفسي اختيارا لاختبر قدرتي على فحص قوتي . قررت ان احبس نفسي اسبوعا في التراب لاكتشف قوة جوعي وعطشي وجنسي . لم افكر ابدا بالانتحار (صمت) عندما ينتحر الانسان يفقد نفسه ويبقى العالم كما كان . لن يتغير شيء . فلماذا ندمر انفسنا هباءا . ولسنا نملك غير انفسنا ؟ الاغبياء هم وحدهم الذين يقدمون انفسهم بتفاهة الى الموت (صمت) ان التفصيلات التي نعيش في حركتها وما تخلق من متاعب لهي اصغر من وجودنا . اننا نستطيع طرحها ونستمر (صمت) نحن الذين نخلق ونحن الذين نفرز الوقائع ونلهبها بخيالاتنا .

الفتاة — هل وجدت شيئا ؟

المدفون — احاول ان ابعث لحيويتي قوى جديدة في هذا العالم الذي تتشبث الاجساد فيه لبناء امجادها الزائفة : رغم انني امقت الجوع والعطش والحرمان .. احيا لكوني لا اجد ما افعله سوى الاستمرار في الحياة .

الفتاة — ستضطر الى السير في الازقة المعتمة التي يخشى الاعتيادي المرور فيها وتعيش في غرف تمنع الاصوات والمقابلات. ستنحسر منعزلا تحمل اثقالك وحيدا .

المدفون — آن لك ان تصمتي . ساضطر لرميك في البحر.

الفتاة — لمـــاذا ؟

المدفون — لانك بدات تخرجين لسانك من الدستور !

(صمت) في الوحدة المقدسة يكتشف الانسان كيانه برمته ويكتشف موضعه ويكشف العالم الموجود فيه ..حينئذ ستتهاوى المؤامرات والطموحات البائسة . (صمت) . سينفرد راقبا ممتلئا بالوهية جامحة .

(دودة ضخمة تثب من ثقب ، وتمر ببطء فوق وجه المدفون ثم تنحدر الى الجهة الاخرى وتمضي في التراب)

الفتاة — الم تر . انك لم تستطع الدفاع عن نفسك حتى تجاه دودة .

المدفون — هذا ما اردت ان اقوله . انها لا تختلف عن معظم اجساد هذي الارض . تمر بك وتكاد تسحقك لكنك لا تملك الا ان تبعدها برفق لئلا تلتصق بك باذاها الابدي . ان عذابي يكمن في اني اعيش في مستقبل الحاضر . لا في الحاضر .

الفتاة — هل تاذن لي بازالة التراب عنك .

المدفون — لا بـاس

(تخلع التراب عن ذراعيه ويأخذان سوية بخلع الكتلة عنه — ينهض بملابسه الكاملة المنسخة)

الفتاة (مع نفسها) ـ كما كنت احلم به .

المدفون ـ ماذا قلت ؟

الفتاة ـ ساجعل لك كياني غرفة سرية تنتشر فيها، تصخب تغني . تمرح . تحزن بصفاء وتنام فيها .

المدفون ـ لماذا امانع ؟ الأمور كلها سواء

الفتاة ـ انها تختلف وستجد ذلك .

ـ المدفون يضحك مستخفا ثم يقول ـ

ـ انك جدية وهذا ما يزيد المسألة بلبلـــة . لن اقع في التبـــاس .

الفتاة ـ هل نعود الى المدينة

المدفون ـ هيـــا

(يطبقان كفيهما ويسيران ببطء . يهبطان من المسرح ثم يمران بين المشاهدين بتؤدة وهما مشغولان لا يحسان باحد .ثم يختلطان بالجميع)

(صمت)

الجلد ، القوس

حددت الجسد الانثوي المضبب الذي كان يصر على التسلل راعشا غير انني لم استطع تفســـير حركتـــه الى غضب او استسلام . وعندما كانت تبتعد ، تتوقف بيقظة هائجة ، منتظرة يدي الزاحفة اليها ، وحين تستقر كتلة جســـدها بين اصابعي المتعددة ، وتهتز وتزيلني .

انتبهت الى اننا كنا نتطارد عبثا .

قلــت لهــا

ـ انت تسحبينني في الفراغ . اقول لك للمرة الاخيرة :

توقفي ولنذهب سويا . او لنفترق الى الابد .

اطبقت جفنيها وصار وجهها جلدا محــدبا بلا عيــون ..

وانهمكت في صمتها الكثيف الذي انهى ذبذبتها الانسانية ..

: ما هي هذه العلاقة المتآمرة ؟ انه تماس افعله وانا مندهش منه ، بل استغربه .. لماذا استمر في هذا التواطؤ القذر ؟

كان الجلد المحدب واضحا امـــامي .. وضعت كفي على ذراعها وقلت بحزم

ـ لننه هذه المطاردة ونفترق .

لـم تتحـرك .

استدرت ومضيت في الطريق الضيق الى الخارج .

(منذ سنوات توقف نمو الحب في داخلي، وانهت اهتماماتي الراسبية تلك العاطفة حجرا صغيرا ، صلبا مجهولا)

: يبدو انها توقفت . ماذا تفعل ؟

اردت ان التفت لارى ماذا ستحدث .

ـ انني اتواطأ من جديد اذا التفت

: (لكني اغرم ، احيانا ، بمعرفة النتائج)

: (لا بأس ان الفت عنقي يسيرا لابصر بجـــانب عيني ما تفعل ، دون ان اجعلها ـ اذا كانت ترصدني ـ تظن انني انظر اليها) .

ـ لا استطيع الا ان ابرر . واني من الضعف مع الفتيات بحيث لا اتمكن من طردهن مباشرة .

كانت تمشي خلفي محدبة راسها للارض .

(استطيع ان اوكد انني شعرت بالانفصال يتوسع بيننا ماسحا الانعطافات نحوها)

امتدت الاشياء واحسست بوجوداتها الثقيلة المميزة وهي تنتصب امامي متحدية وجودي .

وانتبهت الى ملامسة للذراعي نصف العاري :

كانت تنزل راسها الى جانب ذراعي وتمسه :

(راس اشقر منحصر ، غائب) .

ـ لمـــاذا لحقتني .

ـ انها صامتة ايضا : ذلك مفزع .

(ماذا يهمني ..)

كنت غائبا .. وكانت تسير مع جسدي ، بصمت حاد .

الصيـــادون

استحالت قدماي الى فضاء صلب ، تصعدان وتهبطـــان على صحراء شاسعة .

اختفت تقاطعات الاضواء وضجات الالات والناس ..

(كان جسدي مدينتي الوحيدة التي ظلت بعد انهيـــار المدن الاخرى) .

احدهم الان يركض ، بعيدا خلفي ، يبحث عني في الوجوه الكثـــيرة ..

اختفيت وراء زجاجة مقهى وراقبت الطريق : وعبر هـو مسرعـــا .

عدت من الجانب الثاني .

وجاء آخر من امام فاتحا لي ذراعيه . استدرت وفررت وقابلني آخر ..

كانوا يتقدمون جميعا من امام وخلف . عشرات من الرجال والنســـاء ليحاصروني .

مئات الاذرع المشعرة والاذرع الملساء .

آلاف من الاصابع المقوسة تجاهي .

كنت محاذيا لفندق ما .. فقفزت على السلم ودخلت احدى الغـــرف .

حدقت في المرآة .

— ايتها السحنة . كم يودك هؤلاء القتلة .

اقفلت الباب من الداخل . امسكت وجهي وغيرت كل شيء فيـــه ولونت جلـــدي .

هدأ لهاثي .. واخذت اغني .

انتبهت الى صوتي .

— الصوت لم يتبدل

صرخت . همست : لم يتغير .

(— سابقى صامتا ولن يكتشفوا سحنتي الجـــديدة ،

تركت الفندق ومررت بواحد كان يعرفني . حدق بي ومضى .

انتشيت . وانتبهت الى رجل يمشي ازائي .

— كم الوقـــت ؟

— لا ادري .

— لماذا لا تلبس ساعة . ينبغي ان ..

— اصمت ايها الكلب . اتركني .

— انك تسيء الي .

وامسكني من ابطي وهو ينادي

— ايها المارة . هذا الرجل يشتمني

تكدسوا علينا . واخذت اتصبب عرقا .

صرخ الجميع وهم يرفعون قبضاتهم .

ـ اعتـــذر له .

ـ لا تتعجلوا . فهو المسيء .

ـ هذا لا يقنعنا . اعتذر له .

واقتربت من اذني فتاة سوداء الشعر

ـ سيفكون بكلمات قليلة . والكلمات ، يا صديقى ، هواء لا ينتهـــي .

كانت عيونهم تملأ جسدي وهم يتكاثفون .

قلت لـــه .

ـ اذا كان يرضيك الاعتذار ، فخذه .

ـ الان .. اتركك .

توردت سحنة الرجل وانصرف ، وتبعه الحشد . ظلـــت الفتاة السوداء الشعر واقفة . وقالت .

ـ هذه هي مدينتك . لا تغفل ذلك

ـ لا مدينة لـــي .

ـ انها مدينتك القديمة والابدية . لنذهب الى بيتك . هيا.

كانت ساقاي متخشبتين ومنفصلتين عن بطني . كنـــت متعبا للنهاية . فسقطت مغمى علي بين ذراعى الفتاة .

الحقـــــائب

انغرز حذاؤه فى الوحل المغطى بالتبن . قاس كتل الاشواك والحشائش البرية المرتفعة ، ثم مد قدمه فى خط نحيـــف عار .

: انهم هناك خلف النهر ينتظرون فى اكواخهم الســـرية .

سأتفحص بنادقهم ثم نشعل النار فى غابات القصب .

انه يمضي . كفاه طليقان دونما حقائب وجمجمتـــه مملوءة بالاشـــــارات .

: انزل من القطار في مدينة (س)

: استقل زورقا الى النقطة ل

(ستجد الطريق الى الاكواخ)

لقد تركه البلام في النقطة المعينة

: ستقودهم .

: تعلمهم متى يطلقوا النار ومتى يوقفونها .

(ثم تنشر الثورة)

اصدقاؤه الذين سبقوه كتبوا اليه ان الزيت بانتظار مـــن

يسكبه ويشعل النيران . وعليه الان تحويل كتب الثورة الـــى يديه وراسه : الثورة الحارة التي تتناسل فى جسده منـــذ ان تحرك الى غابات القصب

: النار هي الولادة النظيفة .

تكاثف الشوك الاخضر واصبحت الارض اكثـــر ليونة ، وامتدت كتلة الطين اللزجة تبقع اطرافه السفلى . بحر القصب ساكن وايديه ساكنة .

وانتبه الى كوخ مخفي

ـ وصلت اخيرا .

استعجل خطاه في نشوة عثوره على الكوخ

ـ سأستريح قليلا ثم اجمعهم

ثبت حذاؤه في كومة الطين ومن خلل القصب تشرعـــت قبعـــات صفر .

ـ انهم ينتظرونك ، ولكن ليس هنا . انما في مكان بعيدآخر .

ثقبت جسده رصاصات كثيرة .

تقدمت القبعات الصفر والتمت فوق جثته . حملته ايـد عديدة وقذفت به فى النهر .

كان الرجل مسافرا من جديد ، ودونما حقائب ايضا .

اصبحت اقدامى طيورا

استدعانى مدير الاستقبالات .

ـ في الغرفة المجاورة ثلاثة ضيوف جاءوا لروءية مدينتنا .

ـ حســـــنا .

ـ سهل لهم كل شيء . فرضاؤهم يعنى ان مدينتنـــا جميلـــــة .

كان الضيوف الثلاثة مستغرقين فى انفسهم .

توقفت قليلا قبل ان القى اليهم بالتحية .

اداروا الى وجوها جافة . وعرفت اثنين .

ايزنهاور وسارتر .

وشزرت الاخر مستفهما . فادلى بصوت مخاتل .

ـ انا النبى ب

اشرت الى الباب

ـ تستطيعون ايها السادة القاء نظرة على مدينتنا .

والتقى الثلاثة على الباب برهة ثم انفكوا مبتعدين .

اشرت الى السيدين ايزنهاور وسارتر .

ـ انكما لم تزورا مدينتنا من قبل . اما السيد هذا . فهو يعرف بعض الاقدام التى مرت من هنا منذ الاف السنوات.

ـ ايها السادة لا اعرف لماذا جئتم ، وهذا فضول منى . فمهمتى ان اريكم فقط .

كان الثلاثة منفصلين وانا بينهم امد يدى امام عيونهم .

ـ ايها السادة مدينتنا لها تاريخ مهيب . كانت مركزالعالم فيما مضى . ثم مرت بها عصور من الظلام . كان الناس غائبين فى بيوتهم وكانت بيوتهم غائبة ، ثم هزتنا مدن بعيدة اخرى : هيه ايها الغائبون ، اخرجوا . فتسللت الجموع لتبصر الضوء العجيب .

: ايها السادة ارجو ان تكونوا معى . لقد وصلنا الى الحاضر . انكم تبصرون هذا النهر الابدى الذى يكوم الثمار امام العتبات . وهذه الشمس التموزية التى تنفذ الى نهايات

العتمة بدفئها البخاري . اما سكان هذه المدينة ايها السادة . .

ـ ما هذا .

قفوا .

قفوا .

الدور اختفت . النهر اختفى .

ملايين الاجساد مطروحة على الرصيف الممدود الى غير نهاية . وثمة كتلة شفافة شاسعة من الغبار تاتي من الجهة المقابلة وتطمر نهايات الاجساد المرمية

ـ ايها السادة . ثمة امر غريب يجرى . لنعد الى مدير الاستقبالات .

التفت وكانت دائرة الاستقبال قد اختفت ايضا . وامتدت الارض الصحراوية الخشنة الى الابد .

ـ لنترك هذا المكان .

احتج واحد من الثلاثة .

ـ هناك منهاج لنا . لقد جئنا الى المدينة ولن نتركها قبل ان نخبرها .

ـ ولكن يا سادة ارجو ان تلاحظوا ان الامر قد اختلف .

ـ الامر سواء لدينا . اننا لا نعرفكم ولكنكم انتم الذين دعوتمونـــا .

بدات خطواتهم تتركنى

قلت بصوت مرتفــع

ـ هل ابقى وحيـــدا ؟

ونظرت الى الصحراء مغتمــا ثم لحقت بهم .

كـــان الثلاثة يتفحصون الاجســاد . وكـــانت عيون الاجساد الماثلة لصيقة باقدامهم دونما حركة .

وامتزج التجمــد لدى الجميع .

عبرنا آلاف الأجساد . وظلت فى الافق آلاف غيرهـــا ممتـــدة .

ـ كلهم متشابهون ايها السادة . انكم تتعبون هباء .

لم يابهوا بى . توقفت ونظرت الى الاجساد وصرخت

ـ ايها المسحورون انهضوا . ايها المفنيون الاموات .

ابتعد الثلاثة عنى وهم متعانقون .

ركضت . واصبحت اقدامى طيورا .

١٠٠ ذراع

كان السيفان الصدئان معلقين فى بهو المنزل الداخلي .

حدقت بهما مليــا .

منذ متى همــا فى موقعهما ؟

كانا قــد استلفتاني برغبة غامضة منذ مساء امس .

(ذكرت والدتى منذ زمن بعيد ان جــدى الذى كـــان ضابطا فى الجيش العثمانى قد تركهما .)

قفزت فوق كرسى وتناولت واحدا منهما . كان ثقيــلا بعض الشىء .

مسحت طبقة من الغبار الناعم عــن نصله بحذر .

(ملمسه يبعث حرارة مفاجئة فى الدم)

امسكته من قبضته . رفعته الى الاعلى ثم طعنت الهواء. واعدته الى مكانه .

البهو خـــال . غير ان اصوات نحـــــاسية قرقعت في المطبخ (انها امي) .

(سيدخل اخي الكبير المفتاح ببطء ويدير البـاب ثم يمرر وجهه الممتلىء وقامته المتوسطة ، ودون تحية ســـيدلف الى غرفة الطعام ثم يرقى الى غرفته في الطابق الاعلى . ســــانهي اليوم القضية) .

دخل المفتاح ثم طق الباب ودخــــل اخــى الكبير .

واجهنى بنظرة فارغة وهو يغلق الباب وراءه

قلت له ـ تمهـــــل

نظر باندهاش للهجتي الآمرة .

قلت له ـ سنسوى مسالة معلقة قبل ان تتناول غذاءك.

تحفز وجهه ووضع يديه فى جيبي بنطلونه .

قلت

ـ انت مسوءول عن وضعى الذى انا موجـود فيه .

ضحك بشغف

ـ هل تورطت فى قضية ما .

ثم نظر الى فمي باهتمام .

ـ لقد مسحتني من خارطة الوجود الحقيقية . جعلتنى ظلا لك ايها المبتز .

قفزت على الكرسى واقتلعت السيفين . مددت واحدا اليـــــه .

ـ خذ . سنتبارز .

هز حاجبيه واستدار الى غرفة الطعام .
قلت له

ـ لن اتركك . سنتبارز بعد الطعام .

امسكت سيفا بيدي واسندت الاخر على الكرسي .

وركزت عينى على باب غرفة الطعام .

: (منذ ان توفى ابى ، وكنت صغيرا جدا ، اصبح اخى الكبير حاكم البيت . لم يتفقـدني في يوم ما ، واذا صـــدف فيتدخل بفظاظة وقسوة فى اتفه الامور ثم يتركنى ملغيا فترات طويلة . كان ينهى هواياتي ويرغمنى على الاقتناع بهوايـــات يخططها ويوفرها هو) .

شددت مقبض السيف .

« عندما اقيس موقعي الان . احس ان الدنيا مختلفـــة

عنى . فلم يدعنى هذا الاخ اكتشف شيئا يلغى غرابة العلاقات والترابطات الكثيفة التي تحرك الحياة . ان فراغا كاملا يملأ صدرى) .

: لقد اطال في تناول طعامه .
هتفت

ـ انني انتظرك .

: انه المسؤول عن ترددى الدائم فى النزول الى صميم حركة الحياة .

ترددت اصوات اقدامه وهي تتقدم .

امسكت بالسيف الاخر وقلت له
ـ خذ .

توترت عيناه بالغضب ورفع يده ليصفعنى :

ـ لقد هذرت كثيرا .

وجهت سيفى صوب صدره بثبات . تراجع خطوة مبتعدا عن سيفى . امرته

ـ خذ . احدنا ، فقط ، سيبقى .

ـ كن عاقلا . الاخوة لا يتقاتلون .

ـ اللعنة عليك وعلى الأخوة . ساقتلك اذا رفضت مبارزتى .

تناول السيف وتراجع الى الحائط .
قلت

ـ سأعد الى الثلاثة ثم نهجم

ورجعت الى الحائط القابل

تصميم

سأملك حريتي بحياتي

سأملكها الى الابد

واحد

اثنان
ثلاثة

وخطوت بسيفى نحوه . انفتح باب جانبي ودخلت امى منتفضة ـ ما هذه الضجة ؟

ثم صرخت بهلع

ـ ماذا تفعلان ؟

اجابها صوته الملتصق بالحائط

ـ يريد ان يقتلني .

تقدمت منى .

صرخت بها

ـ ابتعدى

ورفعت يدي .

(ساشطرها الى نصفيــن)

وكانت سريعة جـــدا . طوقتنى كالوثاق . قالت

ـ اشفق على امك المسكينة . انها لا تملك فى الحيـــــاة غيركمـــا .

فرقع السيف الـــذي بيـــد اخي ساقطـا على الارض .

ثم خطا الى الباب الخارجى ليهرب . صرخت به وانـا اتملص من وثاقي امى

ـ ايها الجبان . قف . لا تهرب ايهـــــا الجبان.

اغلق الباب واختفـى .

ابعدت امـى ذراعيهـــــا

(لقد تحررت منك ايها المبتز . احس بقوة هائجـــــه تضج في جســـــدى)

وكانت امي في مواجهتى تردد نصائح وكلمات كثيرة لم افهم شـــيئا منها .

رجل لــه
٧ اقــــــدام

انتفض الوجه المرفه المرتخي الذي يمد ساقيه باستقامــة امامي

ـ هل تعرف الفتاة التي كانت برفقتك اليوم في المطعــم

ـ طبعا . انها تدرس فى نفس الكلية ، تعرفت عليها قبل عشرة ايـــام .

ـ هل تعلم انهـــا يهودية

لم اسالهـــا

ـ لقد اخبرتك لتمنع الامور السيئة قبل وقوعها .

لم اجيـــــــه .

اضطرب الوجه المرتخى ونهض عابرا الى الباب وخرج

المكـــان

غرفة في بناية تابعة للجامعة

في لندن

كنت ارتبط بالثلج الذي يتساقط نثارا خفيفا ويتجمع حتما

على حافات البناية وفى الشوارع ، قافزا من دفء الغرفة الى الطرقات الخالية المغسولة بالمطر . قبعات منحنية قليلا وايد مدسوسة فى المعاطف تسرع (كانت جالسة وحيدة .. سحبت كرسيا بجانبها . بدأت بالطريقة المألوفة : الغيوم رقيقة . سنرى الشمس . ادارت وجهها وكأنها تنتظر . سألتها ـ هل تحبين الشمس . سألت : اجنبي ؟ اكدتلها بهزة من راسي . واضافت: انني ايضا اجنبية . ثم سألتني ان كنت ادرس هنا . لم اسألها عن وطنها فقد نسيت ذلك فى اندفاع الاحاديث الكثيرة .

ـ كيف عرف هذا اللعين انها يهودية .

هامش

العلاقة لا تبدأ من جوازات السفر والدين . انما من التطلعات الانسانية العامة ..

قرع الباب ثلاث مرات . هتف

ـ ادخل

اغلقت الباب وراءها . وجلسنا سوية على مقعد عريض متباعدين تفصل بيننا فجوة صغيرة . ارخت ظهرها على المسند وارخيت ظهري . كان راسها يصل الى جانب كتفي . حدقت الى وجهها الرقيق والى يديها

(هل هي مسؤولة عن الدمار ؟)

امسكت يديها . كانتا دافئتين وناعمتين . قلت :

ـ هل تعلمين بانني عربي .

بسطت يديها بين يدي واجابت :

ـ نعم . عرفت ذلك من اسمك . لماذا تخبرني ؟

ـ اخبرني احدهم بانك يهودية .

ـ هناك شيء سري في الداخل اقوى من الكلمتين المتجردتين.

انا د وانت ح . ان وطني هنا فى الداخل . لم نقدم لبعضنا حين تعارفنا تضاريس وتاريخ جوازات سفرنا . اننا انسانان في هذا العالم المملوء .

(سحابة من جراد تطير فوق الصحراء . مدافع لا تنضب)

واضافت :

ـ هل تتحول العواطف والاحلام اللا محدودة والشخصية الى عنف دائم . وهل الانسان آلة حربية ترضخ لزمن محدود ؟

ـ احبك انت . لكن دولتك تبدو خلفك .

تركت كرسيها

ـ لا زلت تربطني ببلاد وسياسة وحرب . ذلك مؤسف . قد نلتقي .

ثم خرجت من الغرفة

(بواخر تنفخ صفاراتها فى الموانيء ورجال مرهقون يعودون من سلمها الملامس للمرفأ . البواخر تبتعد في البحر وتغيب . والرجال يختفون فى الميناء . ثلج لا ينقطع ودقات وهمية على الباب . وحروب غير منظورة . كل البشر ينهضون . يتحركون بملايين الافعال المختلفة في لحظة واحدة)

تحسست المكان الذي كانت تشغله الفتاة وقلت :

ـ انتظري قليلا .

الغرفة الدافئة تتوسع وتضحى مترامية لا تبصر جدرانها .

رفعت الشباك لاهتف اليها من الطابق السادس ان تعود . كان الشارع لامعا بالجليد الابيض ، وخاليا تماما .

ـ القناع ـ	الصفحة
الحدقة : خرائط الرمل	٥
انقسامات الزاوية	١٠
انتظـــارات	١٥
ميــــاه	١٩
الخــوذة	٢٦
الطيور : العشب الازرق	٣٠
القــــارب	٣٥
الساعة تقف على الصفر	٤٠
الخيول تركض والفرسان يضحكون	٤٣
المعـــادلة	٤٧
سهرة تحت غيوم الصباح (مسرحية)	٥٠
الجلد ، القوس	٥٩
الصيــادون	٦٢
الحقـــائب	٦٥
اصبحت اقدامي طيورا	٦٧
١٠٠ ذراع	٧١
رجل لــه ٧ اقدام	٧٦

من منشورات الجبهـــة
الشـعبية لتحرير فلســطين
ـ القيـــادة العـامة ـ

قريبـــــا :
الكيــان الفلسطيني
الـــدولة الفلسطينية
الـــدولة الدمقراطيــة

التصميم : مؤيد الراوي
(انتهى طبع الكتاب بتاريخ ١ـ٧ـ١٩٧٠)